المجلس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا إخوان نصيحة مشفق: اعلموا أن كل هذا الشر إنما جاء من مسألة هى نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه، فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفةً من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كنزوله إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير، وكاستوائه على عرشه، وكمجيئه يوم القيامة، وغير ذلك من صفات الجلال والكمال أول ما يخطر في ذهن المسكين أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق؛ فيكون قلبه متنجسًا بأقذار التشبيه لا يقدر الله حق قدره، ولا يُعظم الله حق عظمته، حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق؛ فيكون فيها أولًا نجس القلب متقذره بأقذار التشبيه، فيدعو شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جَلَّ وَعَلَا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوقين، فيكون فيها أولًا مشبهًا، وثانيًا معطلًا ضالًا ابتداءً وانتهاءً، متهجمًا على رب العالمين، ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق.

الشرح:

هُنا الشيخ فيما وصفه بأنه نصيحة مشفق، هذه حقيقة نصيحة بليغة جدًا نبه فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أساس البلاء وأساس الداء في مسألة التعطيل، بل في كل ضلالٍ وُجد في الصفات، سواءً من عطَّل، أو من حرَّف، أو من فوَّض، أو غير ذلك من أنواع الضلال التي وُجدت في هذا الباب لها مبدأ، ولها أساس.

وهو ما أشار إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (**تلطخ القلب بأقذار التشبيه**)؛ فهذا يمكن أن نُسميه بعبارة حديثة: تشخيص المرض، أو جرثومة المرض التي عنها وُجدت أمراض عديدة، فأساس المرض أو جرثومة المرض في الأخطاء العديدة الكثيرة في باب الصفات ترجع إلى تلطخ القلب بأقذار التشبيه، فإذا وُجدت هذه الجرثومة في قلب الإنسان وهي تلطخه بأقذار التشبيه يُصبح تعامله مع النصوص تعاملًا آخر غير تعامل من كان سليمًا من هذا الداء، لماذا؟ لأنه إذا قرأ آيات الصفات -مثل ما ذكر الشيخ-، إذا قرأ نزوله في الحديث إلى السماء الدنيا، استواء على العرش، مجيئه يوم القيامة؛ إذا قرأ هذه النصوص التي في الصفات يقرأها والقلب ما به؟ متلطخ بأقذار التشبيه؛ فيرى أنها تدل على التشبيه، هي لا تدل لكن قلبه متلطخ بهذا الداء، فماذا يصنع؟ هو لا يريد أن يُشبه الله، هو يريد أن يُنزه الله، هو يُريد أن يُبرئ الله من التشبيه، هو يُريد أن يُحقق قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، يريد أن يحقق ذلك، وإذا قرأ هذه الآيات تلطخ القلب بالتشبيه يجعله لا يفهم منها إلا ماذا؟ إلا التشبيه.

هُنا خرجت المدارس التي سبب خروجها هو هذا المرض، خرجت مدارس منهم من عطَّل، منهم من حرَّف، منهم من فوَّض، إلى غير ذلك كلها تولدت عن هذه الجرثومة، ونشأت عن هذا الداء، يعني تلطخت القلوب بمرض التشبيه؛ فأصبح الواحد منهم إذا قرأ آيات الصفات أو أحاديث الصفات لا يفهم منها إلا معنى المشابهة.

ولعلكم تذكرون! قلت لكم مرة: كان إلى جنبي رجل فقرأ الآية: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح، من الآية:١٠]؛ وماذا صنع؟ وأشار إلى يد نفسه، ثم قال: (يده قدرته)، قوله: (يده قدرته) تحريف للنص، وهو باطل، لكن ما سببه؟ سببه تلطخ القلب بالتشبيه، لا يقرأ آيات الصفات أو أحاديث الصفات إلا ويفهم منها التشبيه، ثم يُريد أن يفر من التشبيه إلى تنزيه الله عنه، فيلجأ إلى ماذا؟ إلى التعطيل، أو يلجأ إلى التحريف، أو يلجأ إلى تفويض المعاني، كل ذلك فرارًا من التشبيه الذي هو فهمه من النص.

التشبيه الذي فهمه من النص هل في النص دلالةٌ عليه من قريبٍ أو من بعيد؟ حاشا والله! كلام الله عَزَّوَجَلَّ لا يدل على تشبيه، نحن قرأنا الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، أثبت لنفسه السمع والبصر عقب ماذا؟ نفي المثلية، فدل ذلك على أن إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به لا يتعارض مع نفي التمثيل، لا يتعارض مع تنزيه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكونه منزهًا ومثبتًا.

أما من تلطخ بالتشبيه فإنه يكون مُشبهًا للفهم الذي فهمه من النص، ومُعطلًا مرحلةً أخرى، ومُشبهًا في مرحلةٍ ثالثة؛ لأنه إذا نفى صفة الرب عنه شبهه إما بالجماد، أو بالمعدوم، أو بالممتنع حسب نوع التعطيل الذي صار إليه.

فالشيخ هنا يُنبه على مسألة مهمة جدًا، يعني ينبه أن الأخطاء التي وُجدت وانتشرت في باب الصفات أساسها مكمن الداء فيها أساس البلاء فيها هو: تلطخ القلب بقذر التشبيه.

ولو سلم الإنسان، لو سلم هؤلاء من هذا التلطخ؛ لأصبح أمامهم طريقًا واضحة فيها تنزيه الله، فيها إثبات ما أثبته الله جَلَّوَعَلَا لنفسه من الصفات، فيها إثبات ما أثبته له رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من صفات الكمال، وفيها السلامة من هذه الآفات التي وقع فيها هؤلاء؛ فهذا هو أساس الداء.

إذًا أساس المشكلة ما هي؟ في المدارس الكثيرة التي وُجدت في باب الصفات أساسها توهمٌ باطل.

أنا يحضرني هنا دائمًا في مثل هذا الموضع كلمة نقلها الذهبي في كتابه [**سير أعلام النبلاء**] في ترجمة أبي حيَّان التوحيدي الفيلسوف، فأبو حيان يذم فرقة وطائفة من الفلاسفة، وهو فيلسوف، لكن يذم فرقة من فرق الفلاسفة فوصفهم بقوله: "أُناسٌ مضوا تحت التوهم، يظنون أن الحق معهم ولكن الحق وراءهم".

والذهبي له عادةً تعليقات جميلة في كتابه [**السير**] فعلق على قول أبي حيَّان هذا بقوله: "قلت وأنت حامل لوائهم"، يعني هؤلاء الذين هم ماضون تحت التوهم، فمن يعيش في توهمات هو يفهمها توهماته تجعله يتعامل مع النصوص الشرعية على ضوء ماذا؟ على ضوء التوهم الذي هو يعيشه، لكن من كان سليمًا من هذه التوهمات، ومن هذه الظنون الفاسدة الباطلة وقلبه سليمٌ من هذه الآفات؛ فإنه -بإذن الله- يكون فهمه للنصوص فهمًا صحيحًا على بابه.

ولهذا من الدعاء الذي العظيم الثابت عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه كان يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ إني أسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا**»، ووالله كم يحتاج الناس في باب الصفات إلى سلامة القلب وصدق اللسان! كم يحتاج والله الناس في باب الصفات إلى سلامة القلب وصدق اللسان!

وكل الآفات التي وُجدت سببها: إما فسادٌ في القلب وعدم سلامة، أو في فسادٌ في اللسان وعدم صدق.

فهذه أساس المشكلة، وهذا التنبيه تنبيهٌ عظيم، والشيخ -يعني- صدَّره بهذا الوعظ وهذا التنبيه قال: (**يا إخوان نصيحة مشفق: اعلموا أن كل هذا الشر إنما جاء من مسألة هي نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه**)؛ نحن إذا نظرنا إلى هذه المسألة -تصوير لما ذكرته قبل قليل- إذا نظرنا هذه المسألة نظرة الطبيب للمريض عادةً الطبيب الحاذق لا يصرف الدواء إلا متى؟ إلا إذا فحص ونظر أيش أساس المرض؟! ثم وصف الدواء على هذا الأساس. يُحلل وينظر ثم..

هنا إذا حللت الآن الفساد الكبير في باب الصفات من تأويل، من تحريف، من... إلى آخره، أساس البلاء هو التلطخ بالتشبيه.

ولهذا ترى كثيرًا في كتبهم ماثلًا أمامك هذا التلطخ في الأدلة المنطقية والقواعد الفلسفية التي يأصلونها لرد الصفات كلها فيها التلطخ هذا ظاهر بالتشبيه، لو كان الله مستويًا على العرش للزمه أن يكون استوائه كاستواء المخلوق هذه المقدمة، المقدمة هي تلطخٌ بالتشبيه، والنتيجة النفي -نفي الصفة- فنفي الصفة مبناه التلطخ بالتشبيه، فلو سلم من التلطخ بالتشبيه لسلم من التعطيل.

ولهذا يعني قال العلماء في حق المعطلة -معطلة الصفات- قالوا: كل معطلٍ لصفات الله مشبه، وهو مشبه مرتين:

مرةً قبل التعطيل ومرةً بعد التعطيل.

- **مرةً قبل التعطيل**: من جهة التوهم الذي يعيشه عندما يقرأ آية الصفات.
- **ومرةً بعد التعطيل**: من جهة ما يؤول إليه تعطيل صفاته -صفات الرب- إلى أنواعٍ من التشبيه: إما بالجماد، أو بالعدم، أو بالممتنع حسب نوع تعطيله.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلموا أن هناك قاعدة أصولية أطبق عليها من يعتد به من أهل العلم وهي: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولاسيما في العقائد، ولاسيما لو مشينا على فرضهم الباطل: "أن ظاهر آيات الصفات الكفر"؛ فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يؤول الاستواء (بالاستيلاء)، ولم يؤول شيئًا من هذه التأويلات، ولو كان المراد بها هذه التأويلات لبادر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيانها؛ لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة.

فالحاصل: أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشُّبه، ويجيب عن جميع الأسئلة وهو: أن الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتلأ صدره من التعظيم؛ فيجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهًا معظمًا له جَلَّ وَعَلَا غير متنجسٍ بأقذار التشبيه، فتكون أرض قلبه قابلةً للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدَّح بها، أو أثنى عليه بها نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غرار: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١].

والشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق؛ فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة.

ولابد في هذا المقام من نقط يتنبه إليها طالب العلم:

الشرح:

هُنا الشيخ أشار إلى قاعدة يقول: (**أطبق عليها من يُعتد به من علماء الأصول وهي: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولاسيما في أعظم الأمور وهو علم العقيدة**)؛ ومراد الشيخ بإيراد القاعدة هنا: هو أن التأويلات التي توصَّل إليها هؤلاء المتكلمون، ويزعمون أن ظواهر نصوص الصفات ليست مرادة، وأن المراد هو الشيء الذي توصلوا إليه هم، فيقول: (لو كان هذا حق فإن من المتقرر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حقه لا يجوز أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة ولا سيما في باب الاعتقاد). إذا كان قرابة ثماني وعشرين صحابي كما أورد أسمائهم ابن القيم في [**الصواعق**] سمعوا منه يقول: «**ينزل ربنا** -هكذا قال- **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة**»، وفي بعض الروايات يقول: «**لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري**»، ويقول: فيُنادي

يقول: من يسألني، من يستغفرني، من يدعوني، قرابة ثماني وعشرون صحابيًا يسمعون منه هذا الكلام بهذا اللفظ، كل من يسمع هذا الكلام ما الذي يتبادر إلى ذهنه؟

من الذي ينزل؟ ينزل ربُّنا، ما الذي يتبادر؟ ظاهر الخطاب ما هو؟ أن الرب هو نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي ينزل، فلو كان الذي ينزل ليس الرب، وإنما ملك من الملائكة، على ضوء هذه القاعدة التي أطبق عليها من يعتد بهم من علماء الأصول، ما يؤخر بينهم ذلك عن وقت الحاجة إليه؛ لأن كل من يسمع ينزل ربنا، يفهم أن الذي ينزل هو رب العالمين نفسه، خاصةً أن الحديث فيه ألفاظ أيضًا تُحقق هذا الأمر، «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة ويقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري، ويقول: من يسألني**»، فلو كان الذي ينزل الملك، هل يُؤخر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيان هذا الأمر ويجعله ملتبسًا على الناس حتى يأتي هؤلاء فيُجلون هذا الغامض، ويكشفون هذا اللغز؟ لأنه يصبح لغز حقيقة، يُصبح نوع من الألغاز، «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ويقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري، من يسألني**»، ثم يقول: «**من يسألني، من يدعوني، من يستغفرني**»، وهو يُريد بذلك أن الذي ينزل ملك، هذا لغز ولا كلام واضح؟ لو كان على ما زعم هؤلاء، هل هو كلام واضح ولا نوع من الألغاز؟

فهذا يعتبر نوع من الألغاز التي ما يمكن أن تحل؛ لأنها ليس فيها أيضًا ما يُفيد هذا المعنى لا من قريبٍ ولا من بعيد.

فالشاهد: أنه لو كان قول هؤلاء صحيحًا ما جاز في حقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة، لقال لهم: ينزل ربنا، يقول: الذي ينزل ملك.

مثل ما أشرت في الحديث قال الله تعالى: «**جُعتُ فلم تُطعمني، مرضت فلم تعدني، قال: كيف تجوع وأنت رب العالمين؟ كيف تمرض وأنت رب العالمين؟**»، ثم جاء البيان في نفس الحديث حتى ما تذهب الأذهان بعيدًا، أو على الأقل بعض الأذهان حتى لا تذهب بعيدًا، فبيَّن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو بُيِّن في هذا الحديث القدسي هذا الأمر حتى ما يقع الإنسان في شيء من الخطأ.

فإيراد القاعدة هذه فيها إلزام لهؤلاء، يعني ليقول: ينزل ملك ربنا الذي يقول في الاستواء: استولى، يمكن يقال على ضوء القاعدة هذه: هل لو كان هذا الذي تقولون صحيحًا هل يليق في مقامه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو الناصح لأمته الحريص على نفعهم أن يترك الأمة معمية عن هذه الحقيقة حتى أنتم الذين تكشفونها؟!

الصحابة ما سُمع عنهم شيء من هذا حتى توصلتهم أنتم إلى هذا؟ وهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة في أمور الدين عمومًا، فكيف في أمور الاعتقاد؟!

وكأن الشيخ يُريد أن يقول: لو كان ما يقوله أولئك حقًّا لما تركه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون بيان. هذا يكفي، لو كان ما يقوله أولئك حقًّا لما تركه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أيكونون أنصح للأمة منه؟! أيكونون أغير على الله وعلى دينه منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟! يُثبت ثم يأتي هؤلاء فيما بعد ويقولون: الذي قاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حق الله ما يليق، ولا يصح أن يوصف الله به؟! والذي يصلح أن يُوصف به هو أنه الملك الذي ينزل ليس الله.

الذي قاله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا عليه استدراك، ينزل ربنا هذا عليه استدراك، الصحيح: ينزل ملك ربنا، فكفى يعني بهذا دلالةً على سوء هؤلاء، ليس فقط فيما يتعلق بالعقيدة في الله، بل حتى فيما يتعلق بالأدب مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة قدره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ونصحه وبيانه لأمة الإسلام.

ولهذا بعض العلماء في مناظرة الله مع بعض هؤلاء ألزمهم إلزام، قال: هذا الذي قلتوه مثلًا تأويل الاستواء بالاستيلاء، قال: هذا الذي قلتوه، هل علمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لم يعلم؟ أجيبوا، قال لهم: هل علمه أو لم يعلمه؟

إن قلتم: لم يعلمه؛ فماذا؟ عندكم علمٌ من الدين في العقيدة وبما يتعلق برب العالمين أعظم من علمه، وهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ القائل: «**أنا أعلمكم بالله**» كما في الحديث الذي في صحيح البخاري.

إن قالوا: لا، علمه، ينتقل معهم إلى مرحلة ثانية، تقولون: علمه؟ هل كان قادرًا على بيانه أو ليس قادرًا؟ هل كان قادرًا، عنده قدرة وفصاحة أن يُبين هذا الأمر أو ليس قادرًا؟ أو أنتم أقدر على بيان هذا الأمر منه؟

إن قالوا: ليس قادرًا، أيضًا طعنوا فيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وادعوا لأنفسهم أن عندهم من القدرة على بيان الدين وإيضاحه أعظم من الشيء الذي عليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الأول: هي الطعن في علمه.

الثاني: هي الطعن في ماذا؟ قدرته على البيان والإيضاح.

فإن قالوا: عالم وقادر، يُقال لهم: هل بيَّن هذا الأمر أو ترك الأمة بدون بيانه؟ إن قالوا: بيَّنه، ماذا يقال لهم؟ يقال لهم: أعطوني من أحاديثه بيانه لهذا الأمر، هاتوا لنا حديث فيه: استوى استولى، أو أعطونا حديثًا فيه التعبير بهذه اللفظة حتى نحمل نحن الأحاديث الكثيرة على موضع واحد قال فيه: استولى الرب على العرش.

فهل بيَّن أو لم يُبين؟ إن قالوا: بيَّن، يقال لهم: أعطونا البيان أين هو؟ إن قالوا: لم يُبين؛ هذا طعنٌ في ماذا؟ نصحه، فهم لا يخرجون من أحد أمورٍ ثلاثة.

- إما الطعن في علمه.
- أو الطعن في بيانه.
- أو الطعن في نصحه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولا مفر لهم من أحد هذه الأمور الثلاثة.

يقول الشيخ -كلمة جميلة أعجبتني- يقول: (**فيكون القلب منزهًا معظمًا له** جَلَّ وَعَلَا **غير متنجسٍ بأقذار التشبيه، فتكون أرض قلبه قابلةً للإيمان**)؛ لاحظتم هذه الكلمة؟ تكون أرض قلبه قابلة للإيمان؛ يعني الإيمان بالصفات، وهذا يدعونا إلى طرح سؤال نقرأ جوابه عند الشيخ: متى تكون أرضية قلب الإنسان قابلة للإيمان بأسماء الله وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة بدون استيحاش، وبدون تردد، وبدون تخوف، متى تكون أرضية القلب قابلة؟

الجواب: إذا سلمت أرضية قلبه من لوثة التشبيه، هذا هو الجواب، إذا سلمت من التلطخ بالتشبيه أصبحت أرضيته قابلة، لماذا؟ لأنك إذا قرأت عليه: ينزل ربنا، هل يخطر بباله النزول الذي يفعله المخلوق؟ لما تقرأ عليه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٥]؛ هل يخطر بباله الاستواء الذي يفعله المخلوق؟ لا، فإذًا أرضية القلب تكون متقبلة للإيمان بالصفات الواردة في الكتاب والسنة متى؟ إذا كانت سليمةً من التشبيه.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ولابد في هذا المقام من نقط يتنبه إليها طالب العلم:**

أولًا: أن يعلم طالب العلم أن جميع الصفات من بابٍ واحد؛ إذ لا فرق بينها البتة؛ لأن الموصوف بها واحد وهو جَلَّوَعَلَا، لا يشبه الخلق في شيءٍ من صفاته البتة، فكما أنكم أثبتم له سمعًا وبصرًا لائقين بجلاله، لا يشبهان شيئًا من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه.

الشيخ:

هذا الإلزام للأشاعرة ومن كان على طريقتهم ممن يُثبتون بعض الصفات وينفون بعضها، إلزامٌ لا محيد عنه ولا مفر منه، وهو أن باب الصفات بابٌ واحد، والقول في بعضها كالقول في البعض الآخر، فما الذي يجعلكم في هذا الباب تثبتون بعضًا وتنفون بعضًا؟

إن قلتم: البعض الذي لم نثبته، لم نثبته فرارًا من التشبيه؛ فهذا يلزمكم فيما أثبتموه على الفهم الذي أنتم فهمتموه من الصفات، لا على واقع الصفات من حيث هي، فالذي تفرون منه فيما نفيتموه يلزمكم أو يُلزمكم به المعتزلة وغيرهم فيما أثبتموه من الصفات، وأهل السنة يقولون لهما: الباب واحد حتى يثبتوا الجميع، وأولئك يلزمونهم ذاك الإلزام لينفوا الجميع.

فهذه أيضًا قاعدة مفيدة جدًا في الرد على هؤلاء، أن باب الصفات واحد، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر: تثبتون السمع، تثبتون البصر، تثبتون الحياة مع التنزيه، أثبتوا بقية صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَى مع التنزيه؛ فإن القول في الجميع واحد.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلموا أن رب السماوات والأرض يستحيل عقلًا أن يصف نفسه...

الشرح:

الآن حتى نستوضح الأمر أكثر، الآن لو لقيت واحدًا من هؤلاء يُثبت السمع والبصر ولا يُثبت اليد، وسألته: قلت له: لماذا لا تُثبت اليد؟ سيقول لك: لا نعهد يدًا إلا هذه الجارحة، ولو أثبتنا لله يدًا حقيقة لشبهناها بيد المخلوق، قل له: هذا الكلام لماذا لم تقله في السمع والبصر؟ الباب واحد، لماذا في اليد قلت: لا نعهد يدًا إلا جارحة، وهناك أمضيتها مع التنزيه، وأثبتها مع التنزيه، السمع والبصر مع التنزيه، فما الذي جعلك تفرق بين:

سمع وبصر ويد؟ الباب واحد، القدم؛ الباب واحد، الوجه؛ الباب واحد، كله باب واحد، فلماذا تفرق بين بابٍ واحد فتثبت بعضًا وتنفي بعضًا، وتدعي لوازم في بعضها وهي تلزمك في البعض الآخر على نهجك وطريقتك.

فإذًا هذه قاعدة مفيدة جدًا في الرد أن باب الصفات بابٌ واحد.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلموا أن رب السماوات والأرض يستحيل عقلًا أن يصف نفسه بما يلزمه محذور أو يلزمه محال أو يؤدي إلى نقص. كل ذلك مستحيل عقلًا؛ فإن الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١].

الشرح:

وهذه القاعدة مهمة في الباب: أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يصف نفسه بوصفٍ فيه محذور أو فيه معنى فاسد، أو فيه أمر يتنزه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عنه، فلا يصف نفسه بذلك.

وإذا ادعوا في صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ التي وصف بها نفسه أنها يلزمها تلك اللوازم، ثم الواحد منهم إذا نفى عن الله صفات أثبت مثل ما عبر الشيخ سابقًا من كيسه الخاص صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيجعل نفسه أو يدعي لنفسه أنه في وصف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أقدر على وصفه بالصفات التي لا يلزمها محذور مما وصف بها هو نفسه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

يعني كأن لسان الحال يقول: إن الشيء الذي وصف الله به نفسه يلزمه لوازم، أما الأشياء التي نحن نصف الله بها خالية من اللوازم، وهذه بلية عظمى.

ولهذا الشيخ رد هذا المعنى وقال: إن الله يستحيل أن يصف نفسه ويتمدح لنفسه بصفات وهو ويلزمها لوازم فاسدة.

ثم هذه اللوازم الفاسدة متى اكتشفت؟ مضى زمن الصحابة، ومضى زمن التابعين، ومضى زمن الخيرية، ثم لما جاء هؤلاء المبتلون بهذه الأمراض فاكتشفوا هذه اللوازم.

أما الصحابة فمضوا على الاعتقاد الحق دون أن يُخالط قلوبهم أو يداخل نفوسهم شيءٌ من ذلك.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الثاني**: أن يعلموا أن الصفات والذات من باب واحد، فكما أننا نثبت ذات الله جَلَّوَعَلَا إثبات وجود وإيمان لا إثبات كيفية مكيفة؛ فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدَّسة صفات إثباتٍ وإيمان ووجود، لا إثبات كيفية وتحديد.

الشرح:

وهذه من القواعد التي وظفها أهل العلم في الرد على هؤلاء، وهي: أن القول في الصفات كالقول في الذات، من نفى صفة من الصفات وقال: يلزم هذه الصفة كذا وكذا ولذا أنفيها. تقول له: هل تثبت له ذاتًا كالذوات أو لا؟ سيقول لك: أنا أثبت له ذاتٍ لا كالذوات. قل له: القول في الصفات كالقول في الذات، كما أنك تُثبت لله ذاتٍ لا كالذوات فأثبت له صفاتٍ لا كالصفات؛ لأن القول في الصفات كالقول في الذات، يُحتذى به حذوًا.

ما تقوله في الذات قله في الصفات، وهذه يُرد بها على من ينفي الصفات ويُثبت الذات، ومن يُثبت بعض الصفات وينفي بعضًا يُرد عليه بماذا؟ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر؛ لأن باب الصفات واحد.

هاتان قاعدتان:

القاعدة الأولى: على من يُعطل الجميع القول في الصفات كالقول في الذات.

والقاعدة الثانية: على من يُثبت بعضًا وينفي بعضًا يقال له: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

ثم أشار الشيخ إلى فائدة جميلة جدًا تتعلق بمنهج أهل السنة في إثبات الصفات، وهي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدَّسة صفات إثبات وإيمان ووجود، لا إثبات كيفيةٍ وتحديد)**؛ هذه فائدة نفيسة جدًا، إثبات أهل السنة لصفات الله إثبات إيمانٍ ووجود، لا إثبات تحديد وتكييف.

عندما نقول: لله سمع، لله بصر، لله يد، لله وجه، إلى غير ذلك من الصفات هذا إثبات وجود هذه الصفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس إثبات ماذا؟ تحديد وتكييف، نحن لا نحدُّها، ولا نُكيفها، الله أعلم بكيفيتها، لكننا نقطع ونجزم بوجودها. فإذًا إيمان أهل السنة بالصفات هو إيمان وجود لا إيمان تحديد وتكييف.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يُطلق عليها اسم المتشابه، وهذا من جهةٍ غلط، ومن جهة قد يسوغ، كما يثبته الإمام مالك بن أنس.

أما المعاني فهي معروفةٌ عند العرب كما قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة".

كذلك يقال في النزول: النزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة. واطرده في جميع الصفات؛ لأن هذه الصفات معروفةٌ عند العرب، إلا أن ما وُصف به خالق السماوات والأرض منها أكمل وأجل وأعظم من أن يُشبه شيئًا من صفات المخلوقين، كما أن ذات الخالق جَلَّ وَعَلَا حق، والمخلوقون لهم ذوات، وذات الخالق جَلَّ وَعَلَا أكمل وأنزه وأجل من أن تُشبه شيئًا من ذوات المخلوقين.

فعلى كل حال.. الشر كل الشر في تشبيه الخالق بالمخلوق، وتنجيس القلب بقذر التشبيه؛ فالإنسان المسلم إذا سمع صفةً وُصف بها الله أول ما يجب عليه أن يعتقد: أن تلك الصفة بالغة من الجلال والكمال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينها وبين صفات المخلوقين، فتكون أرض قلبه طيبة طاهرة، قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه على نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١].

الشرح:

وهُنا -يعني- الشيخ أشار إلى مسألة وهي: هل الصفات من المتشابه أو ليست من المتشابه؟

فقال في الجواب على ذلك: (**اعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يُطلق عليها اسم المتشابه، وهذا من جهةٍ غلط، ومن جهة قد يسوغ**)؛ إذا قيل: صفات الله هل هي من المتشابه أو من المُحكم؟ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٧]؛ فهل الصفات من المحكم أو من المتشابه؟

قول الشيخ هذا: من جهة صح ومن جهة غلط؛ لأن الصفات لها اعتبار من حيث الكيفية، ولها اعتبار من حيث المعنى، فإذا كان من يسأل عن الصفات هل هي من المتشابه أو ليست من المتشابه؟ يقال له: هل تُريد من حيث الكيفية أو تريد من حيث المعنى؟

إذا قال: أريد من حيث الكيفية؛ يقال له ماذا؟ من المتشابه؛ لأن كيفية صفات الله لا يعلمها إلا هو، فمن حيث الكيفية هي من المتشابه داخلة تحت قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾.

أما من حيث المعنى: فهي ليس من المتشابه -من المحكم-، قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٥]، وقوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٦٤]، وقوله: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [سورة المجادلة، من الآية:١٤]؛ هذه من حيث المعنى هل هي متشابه لا يُفهم؟ أو معناها واضح؟ وهل تُفرق أنت بين ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ وبين ﴿غَضِبَ﴾، وإلا متشابه لا تدري أيش الفرق بين ﴿غَضِبَ﴾، و﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، إذا كان الإنسان لا يدري أيش الفرق بين ﴿غَضِبَ﴾، و﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، يكون متشابه المعنى، لكن المعنى واضح.

نحن نعرف من لغة العرب معنى: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، ونعرف من لغة العرب معنى: ﴿غَضِبَ﴾، ولما نقرأ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ من حيث المعنى، هل تلتبس علينا؟ بحيث إننا نقول: والله ما ندري أيش السمع وأيش البصر؟

هل هذا مُلتبس؟ أو نقرأ مثلًا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [سورة الفتح، من الآية:١٠]، ثم نقرأ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [سورة القصص، من الآية:٨٨]؛ مثلًا، ونقول أيش وجه يد ملتبسة علينا معناها ما هو واضح، هذا غير صحيح. المعنى واضح.

لكن إذا كان يسأل عن الكيفية -كيفية هذه الصفات- فهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

والعلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ نبهوا ومنهم الذهبي في كتابه [**العلو**] نبهوا على أن بعض هؤلاء قد يسأل على المعنى الواضح وهو لا يريد المعنى وإنما يريد الكيفية، كأن يقول لك قائل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ ما معنى اليد؟

ما رأيك في هذا السؤال؟ ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ يقول لك: ما معنى اليد؟ هل يجهل صاحب اللسان العربي معنى اليد؟

يعني هو لما قال لك: ما معنى اليد؟ هل قال وهو لا يدري الفرق بين اليد والسمع؟

لما قال لك: ما معنى اليد؟ هل قال وهو لا يفرق بين يدٍ وسمع، ولا يفرق؟ يفرق، لكن لما قال لك: ما معنى اليد؟ يريدك أن تجيب عن الكيفية، فالبعض قد يسأل المعنى وهو يريد منك أن تتحدث في الكيفية.

فالمعنى واضح، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ معناها واضح، نعرف نحن الفرق بين يد ووجه، يد وسمع، يد وبصر، كل هذه نعرف الفرق بينها.

لكن الكيفية الله أعلم بها، كيفية صفات الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ تليق به وبجلاله وبكماله وعظمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فإذًا الصفات آيات الصفات من حيث الكيفية من المتشابه، ومن حيث المعنى من المُحكم الواضح، والمحكم الواضح قد يكون في حق بعض الناس ماذا؟ مُتشابه، يعني مثل واحد منا ضعيف علمه في الشريعة أو في الألفاظ ومعانيها، ثم يقرأ بعض آيات الصفات يقول: ما أدري، لا يدري ما معناها، كونه لا يدري عن معناها، هل هذا دليل أنها من المتشابه الذي لا يفهم؟ أو أن التشابه نسبي يعني في حقه هو؟

ولهذا جاء عن مجاهد أنه قال: قرأت القرآن كله على ابن عباس آيةً آية أسأله عن معنى كل آية، فآيات الصفات آيات واضحة.

ثم تجد في بعض كتب المتكلمين، ماذا يقول؟ يقول: ﴿الٓمٓ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١]، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [سورة مريم، من الآية:١]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٥]، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٦٤]؛ من المتشابه الذي الله أعلم بمعناه، بهذا الحرف: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿الٓمٓ﴾، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، من المتشابه الذي الله أعلم بمعناه، ﴿الٓمٓ﴾، عندهم مثل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، متشابه لا يُفهم معناه.

وعلى هذا يكون الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خاطبنا بكلامٍ لا يُفهم، وأمرنا بتدبر ما لا يُفهم، ويلزم هؤلاء من اللوازم الفاسدة الشيء الكثير على ما نبه عليه أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

ثم أشار في أثناء ذلك إلى القاعدة التي ذكرها الإمام مالك عندما سأله رجل، قال له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، فهذه تُوضح لكم مسألة الصفات، وهل هي من المتشابه أو ليست من المتشابه؟

قلنا: من حيث المعنى ليست من المتشابه، ومن حيث الكيفية من المتشابه، اقرأ هذا في كلام الإمام مالك، الإمام مالك قال: **"الاستواء غير مجهول** -يعني من حيث المعنى، معنى الاستواء نعرفه، هو العلو والارتفاع-، **والكيف غير معقول** -متشابه غير معقول، لا نعقله-، **والسؤال عنه** -يعني عن الكيف- **بدعة**؛ لأن الرجل سأل عن الكيفية، **والإيمان به** -أي بالاستواء- **واجب"**.

ثم قال الشيخ: (و**كذلك يقال في النزول**)؛ ثم لما مثل في النزول قال: (**واطرده في جميع الصفات**)؛ أي صفةٍ تُسأل عن كيفيتها قل فيها مثلما قال الإمام مالك في الاستواء، فمثلًا لو قال لك قائل: كيف وجه الله؟ قل له: الوجه غير مجهول يعني معناه، والكيف -كيفيته- غير معقولة، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب.

وفي جميع الصفات قل ما قاله الإمام مالك من هذه القاعدة العظيمة التي استحسنها أهل العلم واستجودوها، وأمضوها قاعدة تطرد في جميع الصفات.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهنا سؤال لا بد من تحقيقه لطالب العلم أولًا: اعلموا أن المقرر في الأصول أن الكلام إن دل على معنى لا يحتمل غيره فهو المسمى نصًّا؛ كقوله مثلًا: ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٩٦]. فإذا كان يحتمل معنيين أو أكثر فلا يخلو من حالتين:

- إما أن يكون أظهر في أحد الاحتمالين من الآخر.
- وإما أن يتساوى بينهما.

فإن كان الاحتمال يتساوى بينهما؛ فهذا الذي يسمى في الاصطلاح: المجمل، كما لو قلت: (عدا اللصوص البارحة على عين زيد)؛ فإنه يحتمل أن تكون عينه الباصرة عوروها، أو عينه الجارية غوروها، أو عين ذهبه وفضته سرقوها؛ فهذا مجمل.

الشرح:

لأن عين تحتمل العين الباصرة التي يُبصر بها الإنسان عوروها يعني ضربوها فعوروها، عدوا عليها فعوروها، ويحتمل العين يعني الماء -عين الماء- فغوروها، ويحتمل العين يعني ذهب وفضة سرقوها، فهو كلام مُجمل، هذا الكلام يُسمى مجمل، **(عدا اللصوص على عين زيد)**؛ لكونه كلام مجمل لك أن تسأل هنا: تقول: أيش المراد بالعين؟ ما المراد بالعين؟ عين التي يبصر بها، ولا عينه التي في بستانه، ولا عينه الذي هو ذهبه وفضته؟

فهذا يُسمى الكلام أيش؟ مجمل.

المتن:

وحكم المجمل أن يتوقف عنه إلا بدليل على التفصيل.

الشرح:

يعني لو جزمت وقلت: المراد بالعين الباصرة، يقال لك: إش دليلك، واحتمال تكون العين عين الماء، فهذا قال: الحكم فيه أن نتوقف حتى يأتينا تفصيل منه نستبين الأمر وحقيقته.

المتن:

أما إذا كان نصًّا صريحًا فالنص يعمل به ولا يعدل عنه إلا بثبوت النسخ.

فإذا كان أظهر في أحد الاحتمالين فهو المسمى بالظاهر. ومقابله يسمى: (محتملًا مرجوحًا)، والظاهر يجب الحمل عليه إلا لدليلٍ صارفٍ عنه، كما لو قلت: (رأيتُ أسدًا) فهذا مثلًا ظاهرٌ في الحيوان المفترس. محتمل في الرجل الشجاع.

وإذًا فنقول: فالظاهر المتبادر..

الشرح:

الآن يعني مع هذه المقدمة يصل الشيخ إلى نتيجة تتعلق في الموضوع وهو موضوع الصفات، يقول: **(وإذًا فنقول)**.

المتن:

وإذًا فنقول: فالظاهر المتبادر من آيات الصفات من نحو قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ وما جرى مجرى ذلك، هل نقول الظاهر المتبادر من هذه الصفة هو مشابهة الخلق حتى يجب علينا أن نؤول ونصرف اللفظ عن ظاهره، أو ظاهرها المتبادر منها تنزيه رب السماوات والأرض حتى يجب علينا أن نقره على الظاهر من التنزيه؟

الجواب: أن كل وصفٍ أُسند إلى رب السماوات والأرض فظاهره المتبادر منه عند كل مسلمٍ هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق، فإقراره على ظاهره هو الحق، وهو تنزيه رب السماوات والأرض عن مشابهة الخلق في شيء من صفاته. فهل ينكر عاقل أن المتبادر للأذهان السليمة أن الخالق ينافي المخلوق في ذاته وسائر صفاته؟ لا والله لا يعارض في هذا إلا مكابر.

الشرح:

هنا الشيخ -يعني من المقدمة التي مضت- وصل إلى نتيجة تتعلق بظواهر نصوص الصفات مثل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ وما جرى مجراها من نصوص الصفات.

ما الظاهر المتبادر للأذهان من نصوص الصفات؟ من مثل قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾؟ ما هو الظاهر المتبادر للأذهان؟ هل الظاهر المتبادر للأذهان معنى يليق بالله ويخصُّه؟ أو الظاهر المتبادر منها الشيء الذي نراه في الشاهد؟ ما هو الظاهر المتبادر؟

قال الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- في خاتمة كلامه: (**الجواب: أن كل وصفٍ أُسند إلى رب السماوات والأرض فظاهره المتبادر منه عند كل مسلمٍ هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق، فإقراره على ظاهره هو الحق**).

لكن هُنا مسألة: لو -ونبه عليه شيخ الإسلام في [**التدمرية**]- لو قال لك قائل: هل ظاهر نصوص الصفات مرادٌ أو غير مراد؟ ماذا تقول له؟ نحن من خلال ما سبق عرفنا أن بعض الأفهام الفاسدة ما الذي يظهر لها من نصوص الصفات؟ التشبيه. الأفهام الفاسدة يظهر لها من نصوص الصفات التشبيه، فلو كان الذي سألك هذا

السؤال من هؤلاء وقال لك: هل ظاهر نصوص الصفات مُراد أو ليس مرادًا؟ وقلت له: مراد، ومشى. ما الذي يفهم؟ يفهم أن الظاهر الذي هو يفهمه أنه مراد.

ولهذا نبه شيخ الإسلام ابن تيمية: أن هذا المقام في مثل هذه الحال يحتاج إلى أن تسأله: وتقول له: ماذا تفهم من الظاهر؟ إذا قال لك: هل ظاهر نصوص الصفات مراد أو ليس مرادًا؟ ماذا تفهم من الظاهر؟

لو قال لك: أفهم من الظاهر هذه اليد؛ هذا الذي يظهر لي، تقول له: هذا مراد؟! تقول له: هذا الذي فهمته من النص ليس مرادًا، وفي الوقت نفسه تقول له: ليس هو هذا ظاهر النص؛ لأنه لا يمكن أن يكون ظاهر نصوص الصفات معنى لا يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا الذي أنت تفهمه هذا فهمٌ خاطئ، وإن قال الذي أفهمه معنى يليق بالله تقول له: هذا هو ظاهر نصوص الصفات والمراد.

وهذا التفصيل هو من تمام النصح حتى لا تلتبس الأمور؛ لأن هذا من الألفاظ التي وُجد فيها اشتباه بسبب علم الكلام، بسبب الباطل الذي شاع في كثيرٍ من الناس، فلهذا نبه شيخ الإسلام، لو قال قائل: هل ظاهر نصوص الصفات مُراد أو ليس مرادًا؟ يقال له: ماذا تفهم من الظاهر؟ وعلى ضوء ذلك يُجاب.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم بعد هذا البحث الذي ذكرنا نحب أن نذكر كلمة قصيرة لجماعة قرئوا في المنطق والكلام، وظنوا نفي بعض الصفات من أدلة كلامية كالذي يقول مثلًا: لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للحوادث، لكنه غير مشابه للحوادث ينتج فهو غير مستوٍ على العرش؛ هذه النتيجة الباطلة تضاد سبع آياتٍ من المحكم المنزل، ولكننا الآن نقول في مثل هذا على طريق المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين.

نقول: هذا قياسٌ استثني فيه نقيض التالي...

الشرح:

(قياسٌ استثنائي مُركَّب من شرطية متصلة لزومية واستثنائية استثني فيه نقيض التالي)، يبدو أن هذا ساقط.

(نقول: هذا قياس استثنائي مُركَّب من شرطيةٍ متصلةٍ لزوميةٍ واستثنائية استثني فيه نقيض التالي).

المتن:

نقول: هذا قياسٌ استثنائي مركب من شرطية متصلة لزومية واستثنائية استثني فيه نقيض التالي فأنتج منه نقيض المقدم حسب ما يراه مقيم هذا الدليل. ونحن نقول: أنه تقرر عند عامة النظار أن القياس الاستثنائي المركب من شرطية متصلة لزومية يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات:

١- يتوجه عليه من جهة استثنائيته.

٢- ويتوجه عليه من جهة شرطيته إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح.

٣- ويتوجه عليه القدح من جهتهما معًا.

وهذه القضية كاذبة الشرطية؛ فالربط بين مقدمها وتاليها كاذبٌ كذبًا بحتًا، ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لسبع آيات.

وإيضاحه أن نقول: قولكم: لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للحوادث؛ هذا الربط بين (لو) و(اللام) كاذب، كاذب، كاذب. بل هو مستوٍ على عرشه كما قال من غير مشابهة للحوادث، كما أن سائر صفاته واقعة كما قال من غير مشابهة للخلق، ولا يلزم من استوائه على عرشه كما قال: أن يُشبه شيئًا من المخلوقين في صفاتهم البتة، بل استواؤه صفة من صفاته، وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق كما أن ذاته منزهةٌ عن مشابهة ذوات الخلق، ويطَّرد هذا في مثل هذا.

وعلى كل حال.. فالجواب عن شيء واحد من هذا يطَّرد في الكل.

وآخر ما نختم به هذه المقالة: أنَّا نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وأن تلتزموا بثلاث آيات في كتاب الله.

الأولى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾؛ فتنزهوا رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبق أن وعد أنه في تمام الكتاب سيذكر مناقشة تتعلق بمن يعرف المنطق تذكرون هذا، يعني في أوائل الكتاب قال أنه في آخر الكتاب أو في أواخر الرسالة سيذكر مناقشة في حق من يعرف المنطق،

والمناقشة بدأت هنا مختصرة جدًا في مناقشة هذه القاعدة التي هي عمدة عند هؤلاء في نفي صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وذكر القاعدة، وذكر المآخذ التي عليهم، وأهم ذلك أن المقدمة التي بنو عليها ما بنوا -كما وصف الشيخ- كاذبةٌ، كاذبة، كاذبة، فالذي يُبنى على الكذب باطل.

وخُلاصة هذا الدليل المنطقي الذي أشار إليه الشيخ بعيدًا عن تكلفات المناطقة أنهم يقولون: لو كان الله مستويًا على العرش للزم أن يكون مُشابهًا للحوادث والله غير مشابه للحوادث، هذه الخلاصة الآن بعيدًا عن تعقيدات..

وربما لو بليت بمنطقي وقال لك هذه القاعدة، وأبديت له أنك لم تفهمها كأنك لا تعرف القرآن ولا تعرف الدين؛ لعظم هذه القواعد في نفوسهم، وعظم مكانتها في قلوبهم، وإلا يعني هو كلامه معقد، ولو أخذت الأمور ببساطة الشريعة وسهولة العبارات بعيدًا عن تكلف المناطقة وقال: لو كان الله مستويًا على عرشه للزم أن يكون مشابهًا للحوادث والله غير مشابه للحوادث، ثم يعطيك النتيجة: الله ليس مستوٍ على العرش.

لكن الكلام بهذه السهولة ما يُحقق لهم أغراضهم، لا بد من مثل هذه الأشياء الوعرة -هو علم وعر وكلام معقد-، ومثل ما عبَّر عنه ابن تيمية وغيره من أهل العلم كلام لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد، الذكي ما يحتاج إلى مثل التعقيدات؛ لأنه يريد يذكر مثل هذا، أو يصل إلى مثل هذا التعقيد أمره سهل بدون التعقيدات التي يذكرونها في ألفاظهم.

ثم يطيلون الكلام في كتب المنطق في تحرير هذه الألفاظ، أيش المراد بالقياس والمراد باستثنائي، والمراد بالمركب، والمراد من الشرطية، والمراد...، ويهلكون أوقات ثمينة جدًا من الطلاب في فهم مثل هذه الأشياء.

وحقيقة الأمر مثل ما قال الشيخ: إيضاح ذلك، وذكر عبارة واضحة ما تحتاج إلى..، قال: خلاصة ما يقولون: لو كان الله مستو على العرش للزم أن يكون مشابهًا للحوادث والله غير مشابهًا للحوادث، انتهت الآن المقدمة، النتيجة: الله غير مستوٍ على العرش؛ هذه النتيجة.

والجواب على ذلك: أن الربط بين المقدمة والنتيجة خاطئ، والمقدمة ذاتها خاطئة، لزم أن يكون.. هذا كلام خاطئ غير صحيح، وهذه اللوازم هي مبنية على توهمٌ خاطئ، وإذا أردت أن تؤكد له هو نفسه خطأ مقدمته التي بنى عليها نفي الاستواء مثلًا، قل له في السمع والبصر -وهو يثبتهما-: مثل ما قال في الاستواء،

وانظر ماذا يجيبك؟! قل له في السمع والبصر مثل ما قال في الاستواء، نفس القاعدة قلها له. واجعل مثالها السمع والبصر، ماذا سيجيبك؟ سيخطئك في هذا الربط، ويقول لك: السمع والبصر الذي نثبته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خاصٌّ به، قل له: والاستواء الذي نثبته نحن لله ما هو؟ خاصٌّ به جَلَّ وَعَلَا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال الشيخ: **(وآخر ما نختم به هذه المقالة)**.

المتن:

وآخر ما نختم به هذه المقالة: أنَّا نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وأن تلتزموا بثلاث آيات من كتاب الله.

الشرح:

أنا عندي: **(وأن تلتزموا بثلاث جمل من كتاب الله)**؛ وهو الأوفق؛ لأنه سيذكر جمل.

المتن:

الأولى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ فتنزهوا رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق.

الثانية: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة بالكتاب والسنة على أساس التنزيه كما جاء: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

الثالثة: أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا نصَّ الله عليه في سورة (طه) حيث قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [سورة طه، من الآية: ١١٠].

الشرح:

الشيخ في صدر الرسالة قال: نبَّه أن علم التوحيد -الأسماء والصفات- يرتكز على ثلاث ركائز، وذكر ركيزتين وفصل القول، وهنا ذكر الثالثة، الركيزة الثالثة ذكرها هنا قال: **(أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية)**؛ وهذا في جميع الصفات يقطع الإنسان الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية، كيفية صفات الله جَلَّ وَعَلَا، هذا لا مطمع لأحدٍ فيه ولا منال، ولا سبيل للوصول إليه؛ فيقطع الطمع في ذلك.

وإذا كان المخلوق عاجز عن إدراك كيفية كثير من المخلوقات؛ فلا أن يكون عاجزًا عن إدراك كيفية خالقها من باب أولى، ولهذا ذكر الذهبي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه لقي غلامًا يخوض في كيفيات صفات الله، فقال له عبد الرحمن بن مهدي قال له: لننظر في كيفية صفات بعض المخلوقات، فإن قدرنا عليها انتقلنا إلى كيفيات خالقنا، وإن عجزنا عنها، فماذا؟ إن عجزنا عنها فنحن عن كيفية صفات خالقها أعجز.

فوافق الغلام قال: الآن أذكر لك مثالًا، الله جَلَّوَعَلَا وصف الملائكة بأنهم: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [سورة فاطر، من الآية:١]، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأى جبريل وقد سد الأفق وله ستمائة جناح، أخبرني عن كيفية هذه الأجنحة الستمائة جناح هذه حدد لي أماكنها، ففتح الغلام فاه وما استطاع أن يتكلم.

قال: أنا أهون عليك الأمر، أحد الملائكة أو بعض الملائكة لهم ثلاث أجنحة وثلاث له ثلاث أجنحة: جناحًا يمينًا، وجناحًا يسارًا، الجناح الثالث وينه وكيف يطير؟ فهذا عجز عن إدراك ماذا؟ عن إدراك كيفية مخلوق من المخلوقات، هذا يدل على عجز الإنسان، فكيف يتجرأ أن يتحدث في كيفية خالقها، فقال الغلام: انتهيت، وكان منه أن تاب.

فالإنسان عاجز عن إدراك كيفية كثير من المخلوقات، الروح التي بين جنبي الإنسان تصعد وتهبط وتُقبض وتُنتزع من البدن، والله يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٨٥]؛ هذا الذي أوتي العلم القليل كيف يتجرأ ويخوض في كيفية صفات الله جَلَّوَعَلَا.

إذًا الواجب قطع الطمع، وأقول لك: إن أعظم ما يُعينك على قطع الطمع في باب الصفات قولك: (الله أكبر) التي هي من الكلمات التي يحبها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أحب الكلام إليه، قولك: (الله أكبر) هذه وحدها تكفيك في قطع الطمع، لماذا؟ لأن كل ما يخطر ببالك فالله ماذا؟ أكبر منه، الله أكبر من كل ما يخطر في بالك، مهما بلغ الإنسان في تقدير شيء يزعمه كيفيةً من صفات الله فالله أكبر من ذلك وأعظم، فلينتهي الإنسان وليقطع الطمع، ولا يفتح لنفسه مجالًا للخوض في كيفية صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر الشيخ الدليل والأدلة على قطع الطمع عن الخوض في الكيفية كثيرة منها، قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٣٦]، وقوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٩]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [سورة طه، من الآية:١١٠]؛ وسيوضح الشيخ وجه الدلالة في الآية على ذلك.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقوله: ﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾؛ فعل مضارع، والفعل الصناعي الذي يسمى بالفعل المضارع، وفعل الأمر والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، كما قال ابن مالك في الخلاصة:

الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ ** مَدْلُولَيِ الْفِعْلِ كَأَمْنٍ مِنْ أَمِن

الشرح:

الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ ** مَدْلُولَيِ الْفِعْلِ كَأَمْنٍ مِنْ أَمِن

(**كَأَمْنٍ**)؛ اللي هو مصدر. (**مِنْ أَمِن**)؛ الذي هو الفعل.

المتن:

وقد حرر علماء البلاغة في مبحث الاستعارة التبعية أنه ينحل عن مصدر وزمن ونسبة، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا. فـ(يحيطون) في مفهومها (الإحاطة) فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل؛ فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها. الإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين.

الشرح:

هنا الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- يوضح وجه دلالة قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [سورة طه، من الآية:١١٠]. يُبين وجه دلالته على نفي الإحاطة بكل أنواعها من خلال ما ذكره الشيخ -يعني في كلام النحاة-، وأورد يعني تقرير النحاة في هذا قال: فقوله: (**فقوله: ﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾؛ فعل مضارع، والفعل الصناعي**

الذي يسمى بالفعل المضارع وفعل الأمر والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، كما قال ابن مالك في الخلاصة:

الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ ** مَدْلُولَي الْفِعْلِ كَأَمْنٍ مِنْ أَمِن

الآن الفعل الصناعي مثل ما يشير الشيخ الفعل الصناعي -اللي هو المضارع والماضي والأمر- يدل على شيئين، له مدلولان، ما هما؟ الحدث، والزمان.

فمثلًا: (**أَمِن**) اللي هو المثال اللي هو في البيت هذا فعل ماضي، هذا الفعل الماضي يدل على حدث الذي هو المصدر (الأمن)، ويدل على الزمن اللي هو الماضي، وعندما تقول: (يأمن) يدل على حدث الذي هو المصدر (الأمن)، ويدل على زمن الذي هو الحال والمستقبل.

و(ائمن) الذي هو الأمر يدل على حدث الذي هو الأمن الذي هو المصدر، ويدل على وقت وهو -أو الزمان- وهو المستقبل.

ولهذا هنا قال في البيت:

الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ ** مَدْلُولَي الْفِعْلِ كَأَمْنٍ مِنْ أَمِن

الفعل له مدلولان: ما هما؟ الزمان، والحدث الذي هو المصدر.

هذا تعريف الآن للمصدر، ما هو المصدر؟ يقول: (**الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ مَدْلُولَي الْفِعْلِ**)؛ الفعل له مدلولان، ما هما؟ الزمان والحدث.

فقوله: (**الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ مَدْلُولَي الْفِعْلِ**)؛ كأنه قال: (المصدر هو الحدث الذي يدل عليه الفعل).

مثلًا: الفعل (قام، يقوم، قُم)، هذا الفعل ماضيه ومضارعه وأمره يدل على شيئين: على زمان وعلى حدث، ما هو الحدث هنا؟ القيام، هذا هو المصدر.

فيقول الشيخ: (**وقد حرر علماء البلاغة في مبحث الاستعارة التبعية أنه ينحل عن مصدر وزمن ونسبة، فالمصدر كامنٌ في مفهومه إجماعًا**)؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾؛ كامنٌ في مفهومه الإحاطة، والنفي في قوله: ﴿وَلَا

﴿يُحِيطُونَ﴾؛ متسلط على المصدر الذي هو أحد مدلولي الفعل، فالنفي متسلطٌ على المصدر، فيكون المعنى: لا إحاطة بأي نوعٍ كانت فيما يتعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل؛ فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم**)؛ فقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؛ في دلالته وفي قوته في الدلالة كقولك: (**لا إحاطة للعلم البشري بالله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ)؛ فإذا كان قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؛ يدل أنه لا إحاطة للعلم البشري بكيفية صفاته، إذًا الواجب ما هو؟ قطع الطمع عن إدراك الكيفية؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؛ إذًا نقطع الطمع. لا إحاطة للعلم البشري بكيفية صفات الله، إذًا لماذا يقوم البشر أو يحاولون وهو أمرٌ لا مطمع فيه ولا سبيل إلى مناله.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا يُشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء، ولا صفة يد، ولا أصابع، ولا عجب، ولا ضحك؛ لأن هذه الصفات كلها من باب واحد، فما وصف الله به نفسه منها فهو حق، وهو لائق بكماله وجلاله، لا يشبه شيئًا من صفات المخلوقين، وما وُصف به المخلوقون منها فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وهذا الكلام الكثير أوضحه الله في كلمتين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]. فـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ تنزيه بلا تعطيل. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ إيمانٌ بلا تمثيل. فيجب من أول الآية وهو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ التنزيه الكامل الذي ليس فيه تعطيل، ويلزم من قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ الإيمان بجميع الصفات التي ليس فيها تمثيل.

فأول الآية تنزيه وآخرها إيمان، ومن عمل بالتنزيه الذي في: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، والإيمان الذي في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ وقطع النظر عن إدراك الكُنه والكيفية المنصوص في قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؛ خرج سالمًا.

الشرح:

تطرحون سؤال: متى يخرج الإنسان سالم في باب الصفات؟ بهذه القواعد الثلاث: أن يُنزه، وأن يُثبت، وأن يقطع الطمع عن إدراك الكيف.

المتن:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: **وقد ذكرت لكم مرارًا أني أقول: هذه الأسس الثلاثة التي ركزنا عليها البحث وهي:**

١- تنزيه الله عن مشابهة الخلق.

٢- والإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها: وعدم التهجم على الله بنفي ما أثبته لنفسه.

٣- وقطع الطمع عن إدراك الكيفية.

الشرح:

الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- هنا لما يقول: (**وقد ذكرت لكم مرارًا أني أقول: هذه الأسس الثلاثة**)؛ في الواقع أن الشيخ ركز عليها في أكثر كتبه، في [**الأضواء**] وفي أكثر كتبه يؤكد على هذه الأسس الثلاثة، ويُبين أن من تمسك بها خرج سالمًا.

والآن سيذكر لكم كلامًا جميلًا لطيفًا لإقناع كل أحد بهذه الأسس، يقول: أنت الآن لو أنك آمنت بهذه الأسس ولقيت الله يوم القيامة، هل يُحاسبك الله على أنك نزهته ممتثلًا لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؟ هل يُحاسبك الله على أنك أثبت له ما أثبت لنفسه ممتثلًا قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؟ هل يُحاسبك الله إذا امتنعت عن الخوض في كيفية صفاته امتثالًا لقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؟ يقول: والله ما يحاسبك الله على هذا؟ لأن هذا هو المسلك الصحيح، فهذه إقناع وتأكيد على هذه الأصول والأسس العظيمة.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو متم يا إخوان وأنتم على هذا المعتقد.

الشرح:

الشيخ حقيقة في أسلوبه جمع بين البيان وأيضًا الموعظة والنصح وشد... لهذا لما أوضح هذه الأسس دخل الآن بهذا الأسلوب الجميل، قال: (**لو متم يا إخوان**)؛ على هذه الأصول ماذا سيكون؟

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنتم على هذا المعتقد. أترون الله يوم القيامة يقول لكم: لم نزهتموني عن مشابهة الخلق ويلومكم على ذلك؟ لا، وكلَّا والله لا يلومكم على ذلك.

الشرح:

هذه واحدة الآن، هذا الأساس الأول، ثانيًا..

المتن:

أترون أنه يلومكم على أنكم آمنتم بصفاته وصدقتموه فيما أثنى به على نفسه، ويقول لكم: لِمَ أثبتم لي ما أثبته لنفسي أو أثبته لي رسولي؟ لا والله لا يلومكم على ذلك، ولا تأتيكم عاقبة سيئة من ذلك.

الشرح:

هذا اثنين، ثلاثة.

المتن:

كذلك لا يلومكم الله يوم القيامة ويقول لكم: لِمَ قطعتم الطمع عن إدراك الكيفية ولم تحددوني بكيفية مدركة؟ ثم إنا نقول..

الشرح:

يعني هذا إقناع من الشيخ جميل في أن هذه الأسس الثلاثة، ثم نقول:

المتن:

ثم إنا نقول: لو تنطع متنطع. وقال: نحن لا ندرك كيفية (نزول) منزهة عن نزول الخلق، ولا ندرك كيفية (يد) منزهةً عن أيدي الخلق، ولا ندرك كيفية (استواء) منزهة عن استواءات الخلق، فبينوا لنا كيفية معقولة منزهة تدركها عقولنا فنقول:

أولا: هذا السؤال الذي قال فيه مالك بن أنس: والسؤال عن هذا بدعة، ولكن نجيب ونقول: اعرف أيها المتنطع السائل الضال..

الشرح:

عندي عرفت أيها المتنطع.

المتن:

ونقول: عرفت أيها المتنطع السائل الضال كيفية الذات المقدسة الكريمة المتصفة بصفة النزول، وصفة اليد، وصفة الاستواء، وصفة السمع والبصر، والقدرة والإرادة والعلم؛ فلا بد أن يقول: لا.

الشرح:

فلا بد أن يقول: لا، يقول: لا أعرف كيفية الذات.

المتن:

فلا بد أن يقول: لا. فنقول: معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات..

الشرح:

على القاعدة الماضية القول في الصفات كالقول في الذات، فهو إذا قال لك: أخبرني عن كيفية النزول، كيفية الاستواء، كيفية اليد... إلى آخره، قل له: أنت أخبرني عن كيفية الذات، لا بد أن يقول: أنا لا أعرف كيفية الذات، قل له: القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أنك تثبت ذاتًا لا تعرف كيفيتها، فنحن نُثبت صفاتٍ لا نعرف كيفيتها.

وعرفنا قبل قليل أن إيمان أهل السنة بالصفات إيمان أيش؟ لا إيمان تحديد وتكييف، إيمان وجود لا إيمان تحديد وتكييف.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذ الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها، ونضرب مثلًا -ولله المثل الأعلى-. فان الأمثال لا تضرب لله، ولكن الأخرويات لا مانع منها كما جاء بها القرآن فنقول مثلًا: كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفظة (رأس) الراء والهمزة والسين (رأس).

الشرح:

(رأس) هذه الكلمة..

المتن:

الراء والهمزة والسين (رأسٌ)؛ هذه الكلمة أضفها إلى المال، وأضفها إلى الوادي، وأضفها إلى الجبل قل: رأس المال، رأس الوادي، رأس الجبل؛ فانظر ما صار من الاختلاف بين هذه المعاني بحسب هذه الإضافات، وهذا في مخلوقٍ ضعيفٍ مسكين، فما بالك بالبون الشاسع الذي بين صفة الخالق جَلَّوَعَلَا وصفة المخلوق.

الشرح:

هذا ذكره ابن القيم في [**الصواعق**]، والشيخ هنا ينبه على القاعدة التي أشرت إليها وهي: أن الإضافة تقتضي التخصيص، فالرأس إذا أضيف إلى الجبل، وإذا أضيف إلى الوادي، وإذا أضيف إلى الإنسان، أضيف إلى الحيوان تجده اختلف باختلاف ما أضيف إليه، فهذا يدل على أن الإضافة تقتضي التخصيص، فإذا أضيف الوجه إلى من ليس كمثله شيء، ماذا سيكون؟ تابعوا معي، الوجه إذا أضيف إلى الجبل، إذا أضيف إلى الوادي نجده بحسب ما أضيف إليه، فإذا أضيف الوجه إلى من ليس كمثله شيء كان الوجه ليس كمثله وجه، فهذا أمر واضح.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وختامًا يا إخواني نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث:

الأولى: أن تنزهوا ربكم عن مشابهة صفات الخلق.

الثانية: أن تؤمنوا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إيمانًا مبنيًا على أساس التنزيه على نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

الثالثة: وتقطعوا الطمع في إدراك الكيفية؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

الشرح:

هذا التكرار من الشيخ هو في الحقيقة من تمام النصيحة، وهو من السُّنة: «**ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها، فالتكرار في المقامات العظيمة للترسيخ وللتأكيد وتعميق المعنى هذا أمر مطلوب.

فمن نصح الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- يُكرر في الكتاب الواحد وفي الكتب الأخرى حتى ترسخ هذه الركائز العظيمة التي ينبني عليها الكلام في باب الصفات.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **ونريد أن نختم هذه المقالة بنقطتين:**

إحداهما: أنه ينبغي للمؤولين أن ينظروا في قوله تعالى لليهود: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٥٨]؛ فإنهم زادوا في هذا اللفظ المُنزَّل نونًا فقالوا: (حنطة) فسمى الله هذه الزيادة تبديلًا فقال في البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٥٩].

الشرح:

لحظة! عندكم يبدو سقط أو.. اقرأ عليكم من نسختي:

(ثم إنَّا نُريد إنهاء البحث بالمقارنة بين ما يسمونه مذهب السلف ومذهب الخلف، وقولهم: أن مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أحكم وأعلم، فنقول: أولًا: وصفوا مذهب السلف بأنه أسلم وهي صيغة تفضيلٍ من السلامة، وما كان يفوق غيره ويفضله في السلامة فلا شك أنه أعلم منه وأحكم.

ثانيًا: اعلموا أن المؤولين ينطبق عليهم بيت الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَامَ نَفْعَـًا فضـرَّ مِـنْ غَيْـرِ قصْـدِ ** وَمِـنَ البـرِّ مَـا يَكُـونُ عُقُوقَـا

يعني هذا الشيء اللي فعلوه إن أحسنا بهم الظن أنهم راموا نفعًا، وهو تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال: (**وَمِنَ البرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا**)، يعني: قد يفعل الإنسان شيء يفعله من أجل البر ولكنه هو في الحقيقة هدمٌ.

قال: (**وإيضاح المقارنة أن من كان على مُعتقد السلف الصالح إذا سمع مثلًا قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾** [سورة طه، من الآية:٥]**؛ امتلأ قلبه من الإجلال والتعظيم والإكبار لصفة رب العالمين التي مدح بها نفسه وأثنى عليها بها؛ فجزم بأن تلك الصفة التي تمدَّح بها خالق السموات والأرض بالغةٌ من غاية الكمال والجلال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات الخلق؛ لأن الصفة لا يمكن أن تشبه صانعها في ذاته، ولا في شيء من صفاته، وبإجلال تلك الصفة وتعظيمها وحملها على أشرف المعاني اللائقة بكمال مَن وصف بها نفسه وجلاله؛ يسهل على ذلك المؤمن السلفي أن يؤمن بتلك الصفة، ويثبتها لله كما أثبتها الله لنفسه على أساس التنزيه؛ فيكون:**

أولًا: منزهًا سالمًا من أقذار التشبيه.

وثانيًا: مؤمنًا بالصفات مصدقًا بها على أساس التنزيه، فيكون سالمًا من أقذار التعطيل، فيجمع بين التنزيه والإيمان بالصفات على نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فمعتقده طريق سلامةٍ محققة؛ لأنه مبنيٌّ على ما تضمنته آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ الآية من التنزيه والإيمان ، فهو تنزيه من غير تعطيل، وإيمان من غير تشبيه ولا تمثيل.

وكل هذا طريقٌ سالمة محققة وعمل بالقرآن؛ فهذا هو مذهب السلف.

وأما ما يسمونه مذهب الخلف؛ فالحامل لهم فيه على نفي الصفات وتأويلها هو قصدهم تنزيه الله عن مُشابهة الخلق، ولكنهم في محاولتهم لهذا التنزيه وقعوا في ثلاث بلايا ليست واحدة منها إلا وهي أكبر من أختها:

الأولى من هذه البلايا الثلاث: أنهم إذا سمعوا قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؛ زعموا أن ظاهر الاستواء في الآية هو مشابهة استواء المخلوقين، فتهجموا على ما وصف الله به نفسه في مُحكم كتابه، وادعوا عليه أن ظاهره المتبادر منه هو التشبيه بالمخلوقين في استوائهم، فكأنهم يقولون لله: هذا الاستواء الذي أثنيت به

على نفسك في سبع آيات من كتابك ظاهره قذرٌ نجس لا يليق بك؛ لأنه تشبيه بالمخلوقين، ولا شيء من الكلام أقذر وأنجس من تشبيه الله بخلقه -سبحانك هذا بهتان عظيم- وهذه هي البلية الأولى التي هي التهجم على نصوص الوحي، وادعاء أن ظاهرها تشبيه الخالق بالمخلوق، وناهيك بها بلية.

ثم لما تقررت هذه البلية في أذهانهم، وتقذرت قلوبهم بأقذار التشبيه؛ اضطروا بسببها إلى نفي صفة الاستواء فرارًا من مشابهة الخلق التي افتروها على نصوص القرآن أنها هي ظاهرها، ونفي الصفة التي أثنى الله بها على نفسه من غير استناد إلى كتاب أو سنة هو البلية الثانية التي وقعوا فيها فحملوا نصوص القرآن أولًا على معنى غير لائق بالله، ثم نفوها من أصلها فرارًا من المحذور التي زعموا.

والبلية الثالثة: أنهم يفسرون الصفة التي نفوها بصفةٍ أخرى من تلقاء أنفسهم من غير استنادٍ إلى وحي، مع أن الصفة التي فسَّرها بها هي بالغةٌ غاية التشبيه بالمخلوقين، فيقولون: استوى ظاهره مشابهة استواء المخلوقين، فمعنى استوى: استولى.

ويستدلون بقول الراجز في إطلاق الاستواء على الاستيلاء:

قَـدْ اسْـتَوَى بِشْـرٌ عَلَـى الْعِـرَاقِ ** مِـنْ غَيْـرِ سَـيْفٍ وَدَمٍ مِهْـرَاقِ

ولا يدرون أنهم شبهوا استيلاء الله على عرشه الذي زعموه باستيلاء بشر بن مروان على العراق، فأي تشبيهٍ بصفة المخلوقين أكبر من هذا؟!

وهل يجوز لمسلم أن يُشبه صفة الله التي هي الاستيلاء المزعوم بصفة بشر التي هي استيلاؤه على العراق؟)؛ هذه لفتة جميلة جدًا! لعلكم منتبهين لها، يعني الآن هم فروا من استولى قالوا: لأنه يلزم منه المشابهة، قيل لهم: ماذا تقول؟ قالوا: استوى: استولى، أيش الدليل؟ قالوا: (قد استولى بشر)، طيب هذه أيضًا تشبيه، قالوا: استيلاء الله على العرش غير استيلاء بشر قيل لهم: استواء على العرش غير استواء المخلوق.

(وهل يجوز لمسلم أن يُشبه صفة الله التي هي الاستيلاء المزعوم بصفة بشر التي هي استيلاؤه على العراق؟ وصفة الاستيلاء من أوغل الصفات في التشبيه بصفات المخلوقين)؛ لأن علماء اللغة قالوا: إن الاستيلاء يكون في حق المخلوق؛ لأنه عن مغالبة بينه وبين آخر، فإذا غلبه يكون هو المستولي، أما الله لا غالب، الغالب على

أمره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهذه -يقول الشيخ-: (**أوغل الصفات في التشبيه**)؛ اختاروها هم بدلًا لماذا؟ لاستوى التي أثبتها الله لنفسه، اختاروها بدلها صفةً هي أوغل الصفات في التشبيه.

قال: (**وصفة الاستيلاء من أوغل الصفات في التشبيه بصفات المخلوقين؛ لأن فيها التشبيه باستيلاء مالك الحمار على حماره ومالك الشاة على شاته، ويدخل فيها كل مخلوق قهر مخلوقًا واستولى عليه، وفي هذا من أنواع التشبيه ما لا يُحصيه إلا الله، فإن زعم من شبَّه أولًا وعطَّل ثانيًا وشبَّه ثالثًا أيضًا أن الاستيلاء المزعوم مُنزَّه عن مشابهة استيلاء المخلوقين، قلنا له: نحن نسألك ونطلب منك الجواب بإنصاف: أيهما أحق**)؛ اسمعوا الكلام الجميل.

(**أيهما أحق بالتنزيه عن مشابهة الخلق: الاستواء الذي مدح الله به نفسه في محكم كتابه وهو في نفس القرآن الذي يتلى، والتاليه بكل حرف منه عشر حسنات؛ لأنه كلام الله، أم الأحق بالتنزيه هو الاستيلاء الذي جئتم به من تلقاء أنفسكم من غير استناد إلى وحي؟**)؛ كلام جميل جدًا، يقول: أي الكلمتين أحق بالتنزيه: الاستواء أو الاستيلاء؟ الاستواء من كلام الله الذي إذا تلاه التالي له بالحرف عشر حسنات، أي الكلام أحق بالتنزيه؟ كلام الله، أم الكلام الذي جئتم به من كيسكم الخاص؟

قال: (**ولا شك أن الجواب الحق: أن اللفظ الوارد في القرآن أحقُّ بالتنزيه، والحمل على أشرف المعاني وأكملها من اللفظ الذي جاء به معطل من كيسه الخاص لا مستند له من الوحي.**

وبهذه الكلمات القليلة يظهر لكم أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم، وقد بسطنا هذه المقارنة في غير هذا الموضع فاختصرناها هنا، والعلم عند الله تعالى، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلَّى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلم).

نسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يغفر للشيخ، وأن يسكنه الجنة، وأن يجزيه خير الجزاء على محاضرته هذه، وعلى كتبه النافعة ومؤلفاته المفيدة، وأن يجزيه خير الجزاء وأوفره، إنه تعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد أحضرت لكم شريطين، لكل واحدٍ منكم شريطين:

الشريط الأول: فيه المحاضرة هذه بصوت الشيخ.

والشريط الثاني: فيه الموضع الذي قرأته عليكم من سورة الأنعام الآية التاسعة والخمسين الذي فيه كلامه عن العلم، وأن المخلوق لا يعلم الغيب.

وسماعكم لهذين الشريطين فيه فوائد كثيرة، من ضمنها: بما أحسب أنه سيفتح لكم بابًا في القرب من كتب الشيخ وأشرطة الشيخ، والاستفادة منها، ونسأل الله جَلَّوَعَلَا أن ينفعنا بما علمنا، وأن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعل ما نتعلمه حُجةً لنا لا علينا.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وآله وصحبه.